الفصل السابع

أخلاقيات الزواج

الفصل السابع

أخلاقيات الزواج

أولاً: رسل من الأخلاق النظرية إلى التطبيقية

يتناول هذا الفصل الحياة الأخلاقية على أرض الواقع الذى صوره رسل من خلال كتاباته عن «الزواج والأخلاق» و«إنتصار السعادة»، فهو يدور حول الحياة الأخلاقية - كما ينبغى على المرء أن يحياها - من وجهة نظر رسل، لذا يختلف هذا الفصل عن الفصول الثلاثة السابقة، من حيث كونه يعالج موضوعًا واقعيًا معيشًا على أرض الواقع، فإن كانت الفصول الثلاثة السابقة تدور حول نظريات وتصورات أخلاقية قائمة على منطق النقد الأخلاقى، ومنهج التحليل الفلسفى، وبصفة خاصة كما تم عرضه وتحليله فى النظرية الحدسية، أو الانفعالية الأخلاقية، فالسمة الغالبة فى هذه النظريات هى كونها نظريات بحتة، تتعامل مع تحليلات وتصورات أخلاقية، لذلك يمكن وضعها تحت مسمى «المدرسة اللغوية فى الأخلاق» أو بالأحرى «فلسفة الأخلاق».

أما الدراسة فى هذا الفصل فتهتم بالواقع التطبيقى إلى أقصى حد، ولذلك نجد رسل يبنى رؤيته الأخلاقية فى الزواج من خلال التجربة الحياتية المعيشة؛ لذا كان محور الفصل يدور حول مشكلات فلسفية، يحاول فيها رسل إيجاد حلول لهذه الإشكاليات الواقعية، ولكن اختلفت هذه الحلول عن فلسفته برمتها، والدليل على ذلك أن رسل كان يأمل أن تلقى رؤيته فى الزواج رواجًا وقبولاً عند كافة البشر، حتى تصبح نظرية عامة، ولكن لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تقنع رؤية شخصية لمشكلة ما مجتمع بأسره فى القرن العشرين.

وفى هذا الصدد يأسف رسل لنفسه فى نظريته عن الزواج، لأنه لم يجد أية مؤسسات علمية أو جامعية يمكن أن تأخذ نظريته فى أخلاقيات الجنس والزواج مأخذ الجدية والاهتمام، بل

عـلى العكس رُفضت من قبل الكثيرين وعلى رأسـهم «آلان وود». أو كما قال «جريلينج» أن بعضًا من كتابات برتراند رسل كانت بمثابة نجاحًا كبيرًا فى مضمار المنطق وفلسفة العلوم مثل «أ.ب. النسـبية»، «أ.ب. الذرة»، «فى التعليم»، «ما المنضدة»، «الزواج والأخلاق»، ثم أخيرًا «غـزو السـعادة»، وبعض كتاباته كانـت بمثابة فضيحة له حيث إحتـوت فى داخلها عن آراء صريحة جدًا فى الأخلاق الجنسية[1].

ولا شك أن موضوع الجنس الذى يحاول رسل معالجته يعد من الموضوعات المهمة على الساحة الأخلاقية، إذ بدأ الاهتمام فى الأونة الأخيرة بما يسمى بـ«أخلاقيات الجنس»، وذلك بعد ظهور نظريـات التحليل النفسى، خاصة عندما حلل «فرويـد» أثـر الجنس «اللبيدو»[*] فى تكوين العقد النفسية، فبدأت الدراسات النفسية والتربوية تهتم بدراسة تأثير الجنس وأخلاقياته على الفرد سـواء من الناحية السـيكولوجية أو من الناحية الفسـيولوجية، كذلك تأثيره فى تكوين وتحديد ملامح الشـخصية والاتجاهات والميول، الأمر الذى جعل دراسة الجنس وآثاره تشكل موضوعًـا علميًا قائمًا بذاته، ولكن بالرغم من ذلك ما زال الجنس وأخلاقياته موضوعًا مفروضًا على كل فيلسوف أخلاقى[2].

وعندمـا يحلـل رسـل موضوع الجنـس وأثـره فى الحيـاة الأخلاقيـة، ينطلـق من الدراسـات الأنثروبولوجيـة والتربويـة إلى غير ذلك من العلوم التى تخدم المجتمع الإنسـانى، وتحاول أن تقف

(1) A. C. Grayling: Russell, A Very Short Introduction, Op. cit, p.20.

(*) اللبيدو Libido: مصطلح تحليلى نفسى يعبر عن مصاحبة الطاقة أولاً مع غرائز الحياة، ثم مصاحبة الطاقة مع الغرائز الجنسية. وقد افترض فرويد هذه الطاقة كأساس لتحولات النزوة الجنسية من حيث الموضوع ومن حيث الهدف كالتسامى مثلاً، ومن حيث مصدر الإثارة الجنسية. كما يعنى «اللبيدو» فى اللاتينية الشهوة أو الرغبة، ومن الصعب تقديم تعريف «للبيدو» يحوز الرضا تمامًا حيث لا يقتصر الأمر على تطور نظرية اللبيدو مع مختلف مراحل نظرية النزوات. كما يطلق تعبير «اللبيدو» على تلك النزوات ذات الصلة بكل ما يمكن أن يدخل تحت اسم الحب.

Lawrence A. pervin, Oliver P. John: Personality - theory and Research, John Wiley& sons, Inc, U.s.A, 2007, p.593.

وانظـر أيضًا - جان لابلانش وج. ب. بونتاليس: معجم مصطلحات التحليل النفسى، ترجمة: مصطفى حجازى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1997م، ص ص 428، 429.

(3) أحمد الأنصارى: الأخلاق الاجتماعية عند برتراند رسل، مرجع سابق، ص221.

على حقيقة الموقف الإنسانى، ولكن يضفى رسل هنا نزعته العلمية على أخلاقيات الجنس، فهو يحاول تأسيسه كنظرية علمية مثل الرياضيات والمنطق وفلسفات العلم والعقل وغيرها، فهو يرى أنه إذا كان من الواجب على الإنسان أن يتعلم العلوم الرياضية مثلاً، فعليه أن يقوم بدراسة الجنس وأخلاقياته دراسة مستفيضة، فالجهل بالجنس كما يقول رسل فى ثنايا البحث، من الأمور الخطيرة، لذا نصح رسل بضرورة أن يهتم الآباء والآمهات بتعليم صغارهم حقيقة الجنس وأخلاقياته.

ويحاول رسل فى بحثه أن يجد حلولاً للمشكلات المتعلقة بالجنس، مثل المشكلة الدينية، ومشكلة الحب، ولكن فى تحليلاته يقع تحت وهم «اللاأدرية» فى الدين، فيحاول أن يستبعد الدين من أخلاقيات الجنس، لكونه كما يقول رسل: «بأنه يبعث على الخوف»، بل أنه من معوقات السعادة فى الزواج، ففى كتابه «لماذا لست مسيحيًا» نراه يطرح الدين جانبًا، إذا أراد الإنسان فى نظره أن يتحلى بالسعادة فى زواجه، وهذا الموقف الذى يتبناه رسل فى استبعاده للدين من فلسفته الاجتماعية، يتشابه مع الموقف الذى اتخذه الفيلسوف الألمانى «نيتشه» عندما رأى أن المسيحية هى العدو الأكبر للحياة، والداعية إلى أخلاق العبيد، وتأكيد مشاعر الخطيئة، وعقدة الإحساس بالذنب[1].

وبعد ذلك يبدأ رسل فى تحليل أخلاقيات السعادة، ويحاول أن يجد السبل التى تجعل الإنسان سعيدًا فى حياته، بل يبحث بالأحرى عن السبل التى من أجلها يحقق الإنسان الحياة الكريمة Good life، فيناقش فى - محاورة رائعة - الحالة التى آلت إليها حالته الشخصية، من حيث كونه سعيدًا أم تعيسًا، ثم يتطرق الباحث هنا لدراسة المعوقات التى تعوق عملية السعادة، فيراها كثيرة عند رسل، منها الحقد والضجر والحسد والألم والمرض وغيرها من الأشياء التى تجعل الإنسان يشعر بالكآبة والتعاسة.

وينطلق رسل فى تحليله لأخلاقيات السعادة من مبدأ أن السعادة هى الخير، فكما قالت الرواقية قديمًا «أن حب شىء ما يعنى الحكم بأنه خير، وينبغى طلبه، وكره شىء ما يعنى الحكم بأنه شر، ويجب البعد عنه»[2]، أو كما جاء عن أفلوطين «أن الإرادة الإنسانية تريد الخير وحده...

(1) حسن حماد: بحثًا عن المعنى والسعادة واليوتوبيا، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، الطبعة الثانية، 2007م، ص113.
(2) جيهان عادل على: مفهوم السعادة فى فلسفة سينكا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2011م، ص67.

فإرادة الخير هى فعلنا المباشر»[1]. فرسل يبدأ من هذه الأفكار القديمة فى كون الإنسان يسعى فى حياته إلى الأمور الخيرة التى تسبب له الراحة والطمأنينة، مثل الصحة والحب والعمل الشيق، وبالتالى يبعد الإنسان عن الأمور التى تكدر صفو حياته مثل الحسد والحقد والألم وغيره.

وعلى أساس هذه التوطئة التى تدور حول الصياغة الواقعية، والأخلاق التطبيقية لتصور أخلاقيات الجنس وسبل السعادة، تكونت عدة إشكاليات حول الصياغة الواقعية لفلسفة الأخلاق - كما تصورها رسل- فى كتابه الزواج والأخلاق، فكانت الرؤية المقدمة هنا ما هى إلا صياغة لوجهة نظر برتراند رسل فقط، وهى بالفعل رؤية تخالف جميع الأديان السماوية، وأهم هذه الإشكاليات:

1. إلى أى حد فهم رسل الزواج فى كتابه «الزواج والأخلاق»؟ وهل يمكن القول بأن ما قاله رسل يعد نظريةً عامةً فى الأخلاق؟ أم ما قاله لا يمثل سوى رؤيته الخاصة تجاه مشكلاته الحياتية؟
2. إلى أى حد بلوّر رسل رؤيته تجاه الدين؟ ولماذا رآه من معوقات السعادة فى الزواج الناجح؟
3. ما الحب؟ وما هو الحب العذرى؟ و إلى أى حد كانت هناك علاقة بين الحب والجنس بشكل عام؟ وهل يمكن قبول نظرية رسل فى الحب وتطبيقها على أرض الواقع؟ أم ما قاله بصدد الحب والجنس عبارة عن خيال لن يصل إلى أرض الحقيقة؟

ثانيا: الزواج(*) والمشكلة الأخلاقية.

ما هى نظرية رسل فى الزواج؟؟ وما علاقة نظريته فى الزواج بكل من الأخلاق بصفة خاصة، ومشكلة الحياة بصفة عامة؟؟ و إذا كانت هناك مبرراتٌ لقبول آرائه عن الزواج

(1) أسماء عبد الله محمد حمدون: الخير والشر فى فلسفة أفلوطين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2011م، ص119.

(*) الزواج Marriage: هو الاقتران الشرعى بين الرجل والمرأة لتكوين أسرة جديدة، وتختلف شروط عقده، وفسخه، والحقوق والواجبات المترتبة عليه باختلاف الجماعات. فإما أن يكون للرجل الواحد إمرأة واحدة كما فى نظام الزواج الموحد (monogamie)، أو عدة نساء كما فى نظام تعدد الزوجات (pologamie)، =